وفي هذا الكلام دلالة على ان الجنة الآن مخلوقة وهو مذهب اكثر اصحابنا ومعنى قوله وزروعا اي وغروسا من الشجر
زرعنا الشجر كما يقال زرعت البر والشعير ويجوز ان يقال الزروع جمع زرع وهو الانبات يقال زرعه الله اي انبته
ومنه قوله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون ولو قال قائل ان في الجنة زروعا من البر والقطنية
لم يبعد قوله ثم ارسلت داعيا يعني الانبياء واقبلوا على جيفة يعني الدنيا ومن كلام الحسن رحمه الله انما تتهارشون على
جيفة والى قوله ومن عشق شيئا اعشى بصره نظر الشاعر فقال وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي
المساويا وقيل لحكيم ما بال الناس لا يرون عيب انفسهم كما يرون عيب غيرهم قال ان الانسان عاشق لنفسه والعاشق
لا يرى عيب المعشوق فقد خرقت الشهوات عقله اي افسدته كما يخرق الثوب فيفسد والى قوله فهو عبد لها ولمن في يديه
شيء منها نظر ابن دريد فقال عبيد ذي المال وان لم يطمعوا من ماله في نغبة تشفي الصداء وهم لمن املق اعداء وان
شاركهم فيما افاد وحوى والى قوله عم حيث ما زالت زال اليها وحيث ما اقبلت اقبل عليها نظر الشاعر فقال ما الناس
الا مع الدنيا وصاحبها فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا يعظمون اخا الدنيا فان وثبت يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا
والغرة الاغترار والغفلة والغار الغافل وقد اغتررت يا رجل واغتره زيد اي اتاه على غرة منه ويجوز ان يعني بقوله
المأخوذين على الغرة الحداثة والشبيبة يقول كان ذلك في غرارتي وغرتي اي في حداثتي وصباي قوله سكرة الموت
وحسرة الفوت اي الحسرة على ما فاتهم من التوبة والندم واستدراك فارط المعاصي والولوج الدخول ولج يلج
قوله وبقاء من لم يبر اي لم يبر باق لم يعدم ويروى ونقاء بالنون والنقاء النظافة اي لم يبر غير مغمور اغمض في مطالبها
اي تساهل في دينه في اكتسابه اياها اي كان يفتي نفسه بتأويلات ضعيفة في استحلال تلك المطالب والمكاسب فذلك
هو الاغماض قال تعالى ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه ويمكن ان يحمل على وجه آخر وهو انه قد كان يحتال بحيل غامضة
دقيقة في تلك المطالب حتى حصلها واكتسبها قوله عم واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها اي من وجوه مباحة وذوات
شبهة وهذا يؤكد المحمل الاول في اغمض والتبعات الآثام الواحدة تبعة ومثلها التباعة قال ولم يحذروا من ربهم
سوء العواقب والتباعة والمهنأ المصدر من هنئ الطعام وهنؤ بالكسر والضم مثل فقه وفقه فان كسرت
قلت يهنأ وان ضممت قلت يهنؤ والمصدر هنأ ومهنأ اي صار هنيئا وهنأني الطعام يهنأني ويهنئني ولا نظير
له في المهموز هنأ وهنأ وهنئت الطعام اي تهنأت به ومنه قوله تعالى فكلوه هنيئا مريئا والعبء الحمل والجمع اعباء
وغلق الرهن اي استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفتكه في الوقت المشروط قال زهير وفارقتك برهن لا فكاك
له يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا فان قلت فما معنى قوله عم قد غلقت رهونه بها في هذا الموضع قلت لما
كان قد شارف الرحيل واشفى على الفراق وصارت تلك الاموال التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرف اشبهت
الرهن الذي غلق على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا له وصار مستحقا لغيره وهو المرتهن واصحر انكشف واصله الخروج
الى الصحراء والبروز من المكمن رجع كلامهم ما يراجعونه بينهم من الكلام ازداد الموت التياطا به اي التصاقا فاد او حشوا
اي جعلوا مستوحشين والمستوحش المهموم الفزع ويروى واوحشوا من جانبه اي خلوا منه واقفروا يقول قد اوحش المنزل
من اهله اي اقفر وخلا اي مخط في الارض اي اخط سماه مخطا او خطا الدفن يعني اللحد ويروى اي محط بالحاء المهملة وهو
المنزل حط القوم اي نزلوا والحق آخر الخلق باوله اي تساوى الكل في شمول الموت والفناء لهم فالحق الآخر بالاول لما
السماء حركها ويروى اماد والموران الحركة وفطرها شقها وارج الارض زلزلها تقول ارجت الارض وارجها الله
ويجوز رجها وقد روي ورج الارض بغير همزة وهو الاصح وعليه ورد القرآن كلا اذا رجت الارض رجا وارجفها
جعلها راجفة اي مرتعدة متزلزلة رجفت الارض ترجف والرجفان الاضطراب الشديد وسمي البحر رجافا لاضطرابه
قال الشاعر حتى تغيب الشمس في الرجاف ونسفها قلعها من اصولها ودك بعضها بعضا صدمه ودقه حتى يكسره ويسويه
بالارض ومنه قوله سبحانه وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ثم ميزهم اي فصل بينهم فجعلهم فريقين سعداء
واشقياء ومنه قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي انفصلوا من اهل الطاعة نظعن يرحل ينوّلهم الافراع

تعادهم

تعادوهم وتعرض لهم الاخطار جمع خطر وهو ما يشرف به على الهلكة وتشخصهم الاسفار تخرجهم من منزل الى منزل شخص الرجل
واشخصه غيره وغل الايدي جعلها في الاغلال جمع غل بالضم وهو القيد والقطران الهناء قطرت البعير اي طليته بالقطران
قال كما قطر المنهوءة الرجل الطالي وبعير مقطور وهذا من الالفاظ القرآنية قال تعالى سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم
النار والمعنى ان النار الى القطران سريعة جدا ومقطعات النيران اي ثياب قد قطعت وفصلت لهم وقيل المقطعات
قصار الثياب والكلب الشدة والجلب والجلبة الصوت والقصيف الصوت الشديد لا تفصم كبولها لا تكسر قيودها
الواحد كبل ثم ان ذكر عذابهم سرمدي وانه لا نهاية له نعوذ بالله من عذاب ساعة واحدة فكيف من العذاب الابدي
ونحن نذكر في هذا الموضع فصولا من خطب الخطيب الفاضل عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله وهو الفائز بقصبات السبق
من الخطباء وللناس غرام عظيم بخطبه وكلامه وليتأمل الناظر كلام امير المؤمنين عم في خطبه ومواعظه وكلام
هذا الخطيب المتأخر الذي قد وقع الاجماع على خطابته وحسنها وان مواعظه هي الغاية التي ليس بعدها غاية فمن
ذلك قوله ايها الناس تجهزوا فقد ضرب فيكم بوق الرحيل وابرزوا فقد قرب لكم بوق التحويل ودعوا التمسك بخدع
الاباطيل والركون الى التسويف والتعليل فقد سمعتم ما كرر الله عليكم من قصص ابناء القرى وما وعظكم به من
مصارع من سلف من الورى مما لا يعترض ذوي البصائر فيه شك ولا امتراء وانتم معرضون عنه اعراضكم عما يختلق ويفترى
حتى كان ما تعلمون اضغاث احلام الكرى وايدي المنايا قد فصمت من اعماركم اوثق العرى وهجمت بكم على هول مطلع
كريه القرى فالقهقرى رحمكم الله عن حبائل العطب القهقرى واقطعوا مفاوز الهلكات بمواصلة السرى وقفوا على
اجداث المنزلين من شناخيب الذرى المنجلين بوازع ام جبوكرى المشغولين بما عليهم من الموت جرى واكشفوا عن الوجوه
المتعفرة اطباق الثرى تجدوا ما بقي منها عبرة لمن يرى فرحم الله امرأ رحم نفسه فبكاها وجعل منها اليها مشتكاها قبل ان
تعلق به خطاطيف المنون وتصدق فيه اراجيف الظنون وتشرق عليه عبراتها مقل العيون وتمحو عنه رسم القرون قبل
ان يبدو على المناكب محمولا ويغدو الى محل المصائب منقولا ويكون عن الواجب مسئولا وبالقدوم على الطالب الغالب
مشغولا هنالك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب وتقطع الاسباب ويذهب الاحباب ويمنع الاعتاب ويحق من حق عليه
العقاب ومن وجب له الثواب فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فلينظر المنصف هذا
الكلام وما عليه من اثر التوليد اولا بالنسبة الى ذلك الكلام العربي المحض ثم لينظر فيما عليه من الكسل والرخاوة والفتور
والبلادة حتى كان ذلك الكلام عامر بن الطفيل مستلئما شكته راكبا جواده وهذا الكلام الدلال المدنيين آخذا [illegible]
دفه والح ما في بوق الرحيل من السفسفة واللفظ العامي الغث واعلم انهم كلهم عابوا على ابي الطيب قوله فان كان بعض الناس
سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول وقالوا لا يدخل لفظ بوق في كلام يفلح ابدا والح ما على قوله القهقرى القهقرى
مكررة من الهجنة واهجن منها ام جبوكرى واين هذا اللفظ الحوشي الذي يفوح منه روائح الشيح والقيصوم وكانه اعرابي
قح قد قدم من نجد لا يفهم محاورة اهل الحضر ولا اهل الحضر يفهمون حواره من هذه الخطبة اللينة الالفاظ التي تكاد ان
تنثني من لينها وتتساقط من ضعفها ثم الح هذه الفقر والسجعات التي اولها القرى ثم المرا ثم يفترى ثم الكرى الى قوله عم يرى
لمن يرى هل ترى تحت هذا الكلام معنى لطيفا او مقصدا رشيقا او هل تجد اللفظ نفسه جزلا فصيحا او عذبا معسولا
وانما هي الفاظ قد ضم بعضها الى بعض والطائل تحتها قليل جدا وتأمل لفظة مرا فانها ممدودة في اللغة فان كان قصرها
فقد ركب ضرورة مستهجنة وان اراد جمع مرية فقد خرج عن الصناعة لانه يكون قد عطف الجمع على المفرد فيصير مثل قول
القائل ما اخذت منه دينارا ولا دراهم فانه ليس بالمستحسن في فن البيان ومن ذلك قوله ايها الناس حصحص الحق
فما من الحق مناص واشخص الخلق فما لاحد من الخلق خلاص وانتم على ما يباعدكم من الله حراص ولكم على موارد الهلكة
اقتحام وفيكم عن مقاصد البر كثرة انتكاص كان ليس امامكم جزاء ولا قصاص ولجوارح الموت في وحش نفوسكم اقتناص ليس
لها عليها ثبات ولا اعتياص فليتأمل اهل المعرفة بعلم الفصاحة والبيان هذا الكلام بعين الانصاف يعلموا ان سطرا
واحدا من كلام نهج البلاغة يساوي الف سطر منه بل يزيد ويربي على ذلك فان هذا كلام ملزوق عليه آثار كلفة وهجنة ظاهرة

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)